الاستفراق وأثره في التعامل مع الإسلام في إفريقيا

دور الفرنسيين في كوت ديفوار نموذجاً

د. محمود سورو

مدير مركز الفكر الإسلامي المعاصر
والدراسات القرآنية والأسرية في كوت ديفوار

وصل الاهتمام الأوروبي والفرنسي بالإسلام في الغرب الإفريقي وفي كوت ديفوار (ساحل العاج) إلى حدٍّ يفوق الوصف، إذ وصل لدرجة متابعات دقيقة لصفحات الجمعيات والرموز الإسلامية، وإحصاء عدد منشوراتها، والتعليقات والإعجابات المتفاعلة معها[1]، فضلاً عن مراقبة الباحثين الدارسين الذين يُتوقّع أن يكون لهم شأنٌ في مستقبل الدولة.

(١) Frйdйrick MADORE, L'ISLAM IVOIRIEN ET BURKINABЙ A L'иRE DU NUMЙRIQUE 2.0, p.159.

وإذا كان التطلع المتزايد لمعرفة تاريخ الإسلام والأفكار في إفريقيا قد انطلق منذ أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م، وما تلاه من بروز الجماعات الإرهابية مثلاً، فإن الاهتمام بالفكر الإسلامي في الغرب الإفريقي يقود إلى الاهتمام بالبحوث والدراسات التاريخية للغرب عن إفريقيا، والتي ليست سوى «الاستشراق» في نسخته الإفريقية، أو ما بات يُصطلح عليه باسم «الاستفراق» Africanisme.

وأمام الدعوات المتكررة غربيّاً وعربيّاً وإفريقيّاً بالعودة إلى الاستفراق لفكّ الألغاز، وحلّ القضايا العلمية التي ما زالت معلّقة حتى اللحظة، يظهر لنا الاستشكال عن ماهية «الاستفراق» وواقعه في سياق مقارنته بـ«الاستشراق»، ومدى تأثير مدرسة الاستفراق الفرنسي في مفهوم الإسلام في كوت ديفوار.

ومحاولة الإجابة عن ذلك توجهنا إلى تقسيم البحث إلى محورين: الأول يُعنى بمفهوم الاستفراق في ضوء مقارنته بالاستشراق، وثانيهما يبحث في المدرسة الفرنسية للاستفراق وتأثيرها في التعامل مع الإسلام في كوت ديفوار.

المحور الأول: الاستفراق أو الاستشراق في إفريقيا: سؤال المفهوم والمنطلقات الفكرية:

لعلّ مصطلح «الاستفراق» هو أوّل ما يشدّ انتباه القراء الكرام منذ الوهلة الأولى، وقبل الحكم عليه سلباً أو إيجاباً؛ يمكنكم البدء بقراءة متأنية لمحتوى هذا العرض المختصر:

أولاً: الاستشراق والاستفراق: تباين في الموضوع والأعلام والمخرجات:

انطلقت الاهتمامات الكبرى، التي أوّلاها الباحثون الغربيون والأوروبيون لبلدان ما وراء البحار، بعد مرحلتَي الرحالة والمستكشفين

من الناحية الحضارية فإنّ الرؤية الحاكمة للغرب تجاه السُّود هي رؤية إنكارٌ وعدم اعتراف، إذ «تجعل من الإنسان الأسود الإنسان الوحيد الذي لم يشارك بلبنة في بناء الحضارة»

طبعاً، من القرن ١٨م/ الموافق للقرن ١٢هـ[١]، حيث أصبحت دول المشرق قبلتهم لدراسة ثقافات شعوبها وديانتهم ولغاتهم، فسُمّيت دراساتهم «الاستشراق»، Orientalisme. وبفعل التفاعل بين قطبَي الشرق والغرب ظهر اتجاه آخر رام دراسة حضارات الشعوب الغربية برؤية شرقية، أُطلق عليه «علم الاستغراب»[٢] Occidentalisme. وللتيارين مناهجهما وخصائصهما وغاياتهما.

وخلافاً للسادة الأساتذة والباحثين الذين يصنّفون الدراسات الغربية عن إفريقيا ضمن «الاستشراق»؛ ففي تقديرنا تفضيل استعمال «الاستفراق» عليه، لاختلافهما في الخلفيات

(١) تضاربت أقوال الباحثين في الموضوع، فمنهم من يُرجع نشأة الاستشراق إلى القرن ١٥م، ومنهم من يربطه بالحروب الصليبية، وآخرون بحركة الترجمة والتعريب وتدوين العلوم، وبيواكير ظهور الإسلام في عهد النبوّة. وضربنا صفحاً عن التفاصيل حتى لا تصرفنا عن الأهم، مكتفين بما أورده البعض، من أمثال إدوارد سعيد، في: الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، إدوارد سعيد، ترجمة د. محمد عناني، رؤية للنشر والتوزيع، ج١، ٢٠٠٦م، ص ٥١-٥٢.

(٢) من أهمّ ما أُلّف فيه كتاب (مقدّمة في علم الاستغراب) للدكتور حسن حنفي، طبعة الدار الفنيّة عام ١٩٩١م.

الفكرية وفي بعض الخصائص والغايات.

وباستثناء نسبة قليلة من المستشرقين الذين زاوجوا في دراساتهم بين تناول الحضارات الشرقية والثقافات الإفريقية، من قبيل الفرنسيّ فينسان مونتي Vincent Monteil (١٩١٣-٢٠٠٥م) مثلاً، فقد اقتصرت بحوث كوكبة من الباحثين الغربيين والأوروبيين قديماً وحديثاً على دراسة تاريخ وثقافات شعوب إفريقيا جنوب الصحراء فحسب. اللهم إلّا في قضية جدّ محدودة، أو في سياق مقارنة العرب بالإفريقيين أو «الزنوج» في مجال معيّن.

ومن هؤلاء الأعلام على سبيل المثال:

موريس ديلافوس Maurice Delafosse (١٨٧٠-١٩٢٦م)، ولويس غوستاف بنجير Louis-Gustave Binger (١٨٥٦-١٩٣٦م)، خاصةً مع الذين انصبّت جهودهم في دراسة الإسلام في إفريقيا قديماً، مثل روبيرد أرنورد Robert Arnaud (١٨٧٣-١٩٥٠م)، صاحب كتاب (ملخص السياسة الإسلامية) Précis de politique musulmane (١٩٠٦م)، وألفونس غويلي Alphonse Gouilly مؤلف كتاب (الإسلام في غرب إفريقيا الفرنسية) L›Islam dans l›Afrique occidentale française (١٩٥٢م)، والبريطاني ج. سبينسر تريمنغام J. Spencer Trimingham (١٩٠٤-١٩٨٧م)، صاحب التصانيف الكثيرة عن الإسلام في إفريقيا، وغيرهم ممن يصعب حصرهم.

وعليه؛ فتصنيف دراسات هؤلاء مثلاً عن إفريقيا في خانة (الاستشراق) محل نظر، اللهم إلّا إذا كنّا من المؤمنين بإدراج إفريقيا جنوب الصحراء ضمن الغرب الإسلامي، في سياقه، على أنّ ذلك أيضاً سيجرّنا إلى بعث نقاش قديم من مرقده، وهو البحث عن ماهية الأدب الإفريقي littérature africaine ومعيار تصنيفه وحدوده.

وبمعنى آخر: هل يُصنّف الأدب الإفريقي بمعيار الثقافة والهويّة، فيكون النتاج الأدبي الإفريقي منسوباً إلى أدباء إفريقيا جنوب الصحراء فقط، أو بمعيار المنطقة الجغرافية برمتها ليشمل النتاج الأدبي العربي في الشمال الإفريقي؟[١]، وإذا كانت ثمرة الخلاف هنا ترتبط بمفهوم إفريقيا ذاتها، وموقع سكانها غير السُّود فيها من الإعراب، فيبدو لنا اليوم أنّه خلاف قد حُسم أمره منذ ستينيات القرن العشرين[٢].

ثانياً: المنطلقات الفكرية للدراسات الغربية والأوروبية عن إفريقيا السوداء:

عندما نتفحّص دراسات الكتاب الغربيين حول إفريقيا عن قرب؛ نخرج بقناعة راسخة مؤداها أنّه رغم انطلاقهم من «الأنا المركزية الغربية» مع الأغيار، إلّا أن نظرتهم الدونية تشتدّ تجاه جنس السود Race noire، بل أحياناً تصل نظرتهم الدونية تلك إلى حدّ التشكيك في إنسانية السُّود[٣]. وآية ذلك: ما جاء في تصنيف للأعراق البشرية، لريتشَارْ بُورْتُونْ Richard BURTON (١٩٢٥-١٩٨٤م)، فقد وضع: الإنسانَ «الزنجيّ في العائلة البشرية تحت العرقَين الكبيرين العربيّ والآريّ»[٤].

---

(١) الأصول الفكرية للحركات الأفريقانية ومناهجها في التعامل مع النص القرآني: قضايا ونماذج، محمود سورو، معهد محمد السادس للقراءات والدراسات القرآنية، بالرباط المملكة المغربية، ٢٠٢١م، ص١٩.

(٢) الأدب الإفريقي، د. عليّ شلش، عالم المعرفة رقم ١١٢، مارس عام ١٩٩٣م، ص ١١-١٥.

(٣) المركزيّة الغربية: إشكالية التكوّن والتمركز حول الذات، عبد الله إبراهيم، المركز الثقافي العربيّ، ط١، ١٩٩٧م، الدار البيضاء، المغرب، ص٢٥٨.

(٤) Gueye Maodo. (1999). Les sources de l›histoire moderne et contemporaine africaine.

فضلاً عن اعتبار السُّـــود الجنس «المُذْنِب والمخطـــئ» الـــذي لا يُغفر له إلّا باســـترقاقه وإدخاله في المســـيحية بقوّة، قبـــل بيعهم في ســـوق النخاســـة، بناءً على أن السُّـــود أحفاد «حـــام» الملعون من طرف أبيـــه النبيّ نوح عليه الســـلام، بســـبب نظره (حام أبـــي كنعان) إلى عورته وهو نائم، بينما ســـارع أخواه سام ويافث إلـــى تغطية عورة والدهم، كما نصّ عليه ســـفر التكوين من الكتـــاب المقدّس[١]. وقد لقي هذا الأمر مباركة من الكنيســـة الأوروبية، فشجّعت الحملات الاســـتعمارية وتجارة العبيد السّـــود، في إطار ما اصطُلح عليه باسم التجارة الثلاثية Commerce triangulaire.

ومن الناحية الحضارية؛ فإنّ الرؤية الحاكمة للغـــرب تجاه السُّـــود هـــي رؤية إنـــكارٌ وعدم اعتراف. إذ «تجعل من الإنسان الأسود الإنسان الوحيد الذي لم يشارك بلبنة في بناء الحضارة/ الثقافة الإنســـانية في تشـــكلّها عبـــر التاريخ المديد»[٢]. ولـــو أردنا المقارنة بين المجتمعات الإفريقية والعربية مثلاً؛ لوجدنا اعتراف الغرب بحضارتهم، لاســـيما بعد صـــدور كتاب (تاريخ القرآن) للمستشـــرق الألماني ثيـــودور نولدكه Theodor Nöldeke (١٨٣٦-١٩٣٠م)، والذي يعتبر فصلاً فاصلاً بين عهد كان يدرس فيه المستشـــرقون القرآن باعتبـــاره ضرباً من الهرطقات والتخيلات لنبـــي مزيف، وبين عهد أخذ ينظر فيه إلى القرآن بقدر- ولو ضئيل- من التقدير، بصفته الكتاب المقدس للعرب وعمدة حضارتهم.

أضف إليـــه: أنّه رغم تشـــكيك فَرَانْسُـــوَا دِيـــرُوشْ[٣] François Déroche من صحّة النســـخ القرآنية المتداولة بين المسلمين اليوم؛ فإنّ الرجل قد أثبت كتابة القرآن بعد خمســـين عاماً فقط من وفـــاة النبيّ محمد عليه الصلاة والســـلام، بعدما أرجع ذلك أغلب أسلافه إلى القـــرون المتأخرة. وفي ذلـــك اعتراف وتأكيد لرفع شأن الحضارة العربية، مثل اعتراف الغرب بالحضارات الفرعونية والفارسية والهندية، مع تجاهـــلٍ تامٍّ عن تاريخ إفريقيـــا، وهذا مما أثار حفيظة المدرســـة الديُوبية[٤]، وأدى إلى ظهور الأفرو-مركزية لمواجهة تيار المركزية الأوروبية، ونقده.

ثالثاً: اضطراب مفهوم الاستشراق ومطابقته على الدراسات الغربية في إفريقيا:

مـــن منظـــور الـــدس المصطلحـــي؛ فإن معنى «الاستشـــراق» نفســـه يأبى إطلاقه على الدراسات الغربية المتخصّصة في إفريقيا، إلّا باعتبار ذلك ضرباً من «التجوّز» أو «التســـامح في التعبير»، وهو مرغوب عنه ســـيما مع وجود مصطلح آخر أوفق وأدقّ، لأنّ الاستشـــراق علم يُعنى بدراسة الشـــرق[٥] بوصفه موقعاً جغرافيّاً مغايراً لإفريقيا.

وحتى إن انطلقنا من البعد الهوياتي الرابط بين مســـلمي العالم، فنطرح «الشرق الجغرافي»

---

(١) سفر التكوين ٩: ٢١ ٢٧ / الـرقّ ماضيه وحاضره، عبد السلام الترمانيني، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، رقم ٢٣، نوفمبر ١٩٧٩م، ص ١٤١-١٥٤.

(٢) الحلول المقترحة لمشكلات التغريب للمرأة في غرب إفريقيا، مصطفى انجاي، ٢٠١٣م، ص٥.

(٣) كبير المستشرقين الفرنسيين المعاصرين، يعمل على إصدار نسخة قرآنية أصح - في زعمه-، إلى حدود عام ٢٠٢٥م.

(٤) نسبة إلى شيخ أنتا ديوب Cheikh Anta Diop (١٩٢٣-١٩٨٦م)، صاحب نظرية «الأصـول الزنجية للحضارة المصرية».

(٥) الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، إدوارد سعيد، مرجع سابق، ص٤٤.

Dakar : IRD, p.4.

لصالح «الشرق الهوية»، كما تفضّل به بعض الباحثين[١]، فذلك مطابق- في تصوّرنا- في دول شمال إفريقيا؛ نظراً لقوّة القواسم الثقافية المشتركة بينها وبين الشرق الإسلامي، خلافاً لدول إفريقيا جنوب الصحراء، التي غالباً ما يُنظر إلى سكّانها باعتبارهم «شعباً أو أمّة واحدة، لها ذات الأسس والجذور، ولها نفس الخصائص والسمات»[٢]، فنخلص إذن إلى أنّ مفهوم «الاستشراق» مغاير لمفهوم «الاستفراق».

ولسنا وحدنا من يميل إلى هذ الرأي، فالدراسات الغربية نفسها تطلق مصطلح المستفرقين Africanistes/ Africanists وصفاً للغربيين المتخصّصين في شؤون إفريقيا، ولا تخلطهم بالمستشرقين المتخصصين في القضايا الشرقية. أضف إلى ذلك الحرص الشديد لدى بعض الغربيين والأوروبيين للتفريق بين المصطلحين، كما هو الحال مع الباحثَين الفرنسيين إيمانويل غريغُوار Emmanuel Grégoire، وجان شْميتْز[٣] Jean Schmitz.

ومع اعتبار «الاستفراق» مصطلحاً جديداً في البيئة العربية الإسلامية؛ فقد ورد مبثوثاً في بعض المؤلفات والرسائل، إمّا من خلال استعماله بمعنى الاستشراق في إفريقيا، أو ترجمته من اللغات الأوروبية إلى العربية، ومن ذلك كتاب (الأدب الإفريقي) للدكتور علي شلش[٤] (ت. ١٩٩٣م)، و(صورة المجتمع الجزائري في La revue africaine ١٨٥٦- ١٩٦٢م) لكمال لحمر[٥]، وكتاب (الأندلس برؤى استعرابية: دراسة جهود المستعربين الإسبان المهتمّين بالتراث الإسباني) للدكتور محمد العمارتي[٦]، وأخيراً: عند أستاذنا د. آدم بمبا[٧]، إلى غير ذلك مما وقفنا عليه.

وتجدر الإشارة إلى أن العديد من الأساتذة والباحثين العرب والإفريقيين قد شعروا بإشكال تطابق مفهوم «الاستشراق» على البحوث الغربية في إفريقيا، فراحوا يبحثون عن مصطلحات بديلة، كمصطلحي «الاستشراق الإفريقي»[٨] و«الدراسات الاستشراقية الإسلامية بإفريقيا»[٩] عند أستاذنا د. آدم بَمْبَا، ومصطلح «الاستشراق الأفريقاني» عند زميلنا د. محمد تفسير بَالْدِي[١٠]. ويأتي أ. د. حمدي عبد الرحمن لإطلاق مصطلح «الاستشراق الأسود»[١١]،

(١) لمحات عن الاستشراق الأفريقاني، مجلة قراءات إفريقية، العدد (٤٤)، (أبريل ٢٠٢٠)، ص١٠٥.

(٢) الهوّية الإفريقية في الفكر السياسيّ الإفريقي: دراسة مقارنة، باسم رزق مرزوق، المكتب العربيّ للمعارف، ط ٢٠١٥، ص٤١.

(٣) Emmanuel Grйgoire, Jean Schmitz : Monde arabe et Afrique noire : permanences et nouveaux liens, Afrique noire et monde arabe : continuitйs et ruptures, Cahiers des sciences humaines Nouvelle sйrie numйro 16, p.5.

(٤) سبق ذكره. وقد ورد المصطلح فيه ٥ مرات.

(٥) رسالة قدّمها الباحث لنيل شهادة الدكتوراه في جامعة منثوري، قسنطينة بالجزائر، عام ٢٠١٠-٢٠١١م.

(٦) طبعة دار الكتب العلمية، ينظر مثلاً في ص ٢٦، لقد ذكر المصطلح ٤ مرات.

(٧) الاهتمام الغربي بدراسة ورصد تأثير الإسلام في إفريقيا: أهدافه وأبرز مخرجاته، آدم بمبا، مجلة قراءات إفريقية، العدد (٣٩)، يناير ٢٠١٩م / ربيع ثاني ١٤٤٠هـ، ص١٠.

(٨) الاستشراق ودوره في المشروع الإمبريالي في غرب إفريقيا، آدم بمبا، مجلة قراءات إفريقية، العدد ٣٤، (ديسمبر ٢٠١٧). عقد محوره الثالث بعنوان: «الاستشراق الإفريقي والإسلام»، ص٩٣.

(٩) الاهتمام الغربي بدراسة ورصد تأثير الإسلام في إفريقيا: أهدافه وأبرز مخرجاته، آدم بمبا، ص١٠.

(١٠) لمحات عن الاستشراق الأفريقاني، مجلة قراءات إفريقية، العدد (٤٤)، (أبريل ٢٠٢٠)، ص ١٠٤-١٠٩.

(١١) الهوية الإفريقية وتحديات الميراث الثلاثي، حمدي عبد الرحمن، مجلّة أحوال مصرية، العدد ٧٢- ربيع ٢٠١٩م، ص ٢١-٢٢.

مما يؤكّد وجود فروقٍ جوهرية بين مفهومي «الاستشراق» و«الاستفراق».

رابعاً: تعريف الاستفراق وموقعه في الدراسات الإفريقية المعاصرة:

الاستفراق لغة:

ترجمة لكلمتَي Africanism/ Africanisme من الفرنسية والإنجليزية.

وفي تقديرنا أن سعة الصرف العربي تسمح لنا باشتقاق فعل اسْتَفْرَقَ، على غرار استشرق، واستغرب، في علمَي الاستشراق والاستغراب. ويمكننا الاستناد أو الاستئناس أيضاً بفعل تَأَفْرَقَ الذي نحته البروفيسور حمدي من إفريقيا، بمعنى: اكتساب الهويّة الإفريقية بالنسبة للأصول غير الإفريقية التي طالت إقامتهم فيها. فقال إن «الأصول الأفرو-آسيوية» «قد تأفرقوا وأصبحوا يحملون الهوية الإفريقية اكتساباً»[١].

وأما اصطلاحاً:

فينقل قاموس لاروس الفرنسي LA Rousse تعريف المستفرق Africaniste بأنّه: «المتخصص في دراسة إفريقيا، وخصوصاً اللغات والحضارات الإفريقية»[٢].

ويعرّفه كُوزُومْ أَغَّارْوَالْ Kusum Aggarwal بكونه: «المعرفة العلمية التي حاولت القوى الغربية بناءها حول شعوب ومجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر»[٣].

أمّا البروفيسور د. تِيُوفِيلْ أُوبِينْغَا Théophile Obenga فيعرّف الاستفراق بأنه: «دارسة الأفارقة وحضاراتهم من قِبَل المتخصصين الأجانب، المُسمَّون بالمستفرقين»[٤].

وقد وُلد الاستفراق من رحم الاستعمار، وفي أوج ازدهاره، ومن ثَمّ فهو بمثابة «ابن الاستعمار الإمبريالي»، و«الأب المؤسس للأدب الإفريقي الحديث»[٥]. وحمل الاستفراق رائحة الاستعمار ورؤيته السلبية تجاه تاريخ إفريقيا جنوب الصحراء، إضافةً إلى التطور الملحوظ في العلاقات الدولية والدبلوماسية التي تتطلب الملاطفة والمرونة بين الدول، فهذه الأمور- وغيرها- قد أعطت الضوء الأخضر لتعويض تدريجيّ للاستفراق في غالب الأحوال، بمصطلح «الدراسات الإفريقية» African Studies/Etudes Africaines، مثلما عليه الأمر في الاستشراق، إذ بات «المتخصصون يفضلون استخدام مصطلح الدراسات الشرقية، أو مصطلح دراسة المناطق»[٦].

لكنّ ذلك لا يشفع للاستفراق للخلاص من المساءلة العلمية في الحاضر والمستقبل، لأن مصطلح الدراسات الإفريقية شامل لكلّ النتاجات العلمية للعرب والغرب وغيرهم. وقد رسّخ الاستفراق نفسه الكثير من الرؤى والتصورات السلبية في ذاكرة الغربيين تجاه

---

(١) المصدر السابق، ص٢٠.

(٢) https://www.larousse.fr/dictionnaires/francais/africaniste/1572

(٣) La naissance de l'africanisme a l'ирe coloniale, p.1. http://www.sielec.net/pages_site/DESTINATIONS/AFRIQUE/Aggarwal_naissance_africanisme/Aggarwal_naissance_africanisme_1.htm

(٤) Thйophile OBENGA, les derniers remparts de l'africanisme, Prйsence Africaine, Nouvelles sйrie. N° 157 (1er SEMESRE 1998), p.47.

(٥) Kusum Aggarwal, «Africanisme franзais et littйratures africaines», Cahiers d'йtudes africaines, 198 | 2010, p.1.

(٦) الاستشراق: المفاهيم الغربية للشرق، إدوارد سعيد، مصدر سابق، ص٤٤.

الإفريقيين، يفصح عنها خطاب الرئيس الفرنسي سَارْكُوزِي في دكار عام ٢٠٠٧م، بقوله: «مأساة إفريقيا هي أن الإنسان الإفريقي لم يدخل التاريخ بعدُ بشكلٍ كافٍ»[١].

فالسبيل للتخفيف من حدّة التوترات في القضايا المماثلة؛ يبدأ بالحوار العلميّ الجادّ حول مخرجات «الاستفراق» في جميع المستويات.

خامساً: دعوات للعودة إلى الدراسات الاستفراقية: مسوغاتها وأهدافها:

ما سبق ذكره حتى اللحظة لا يترك لنا خياراً آخر سوى العودة إلى الاستفراق في المنطقة، لمسوغاتٍ عدّة، منها: تعريف أَغَّارْوَالْ للاستفراق بكونه محاولة غربية لبناء معرفة علمية عن مجتمعات إفريقيا جنوب الصحراء. فهي بالفعل محاولة بناء، وليست معرفة صحيحة بالضرورة، كما سيأتي. وأيضاً؛ فإن مصطلح «القوى الغربية»، في التعريف يوحي بنوعٍ من الهيمنة والاستعلاء، والفرض والإملاء، بحكمٍ أن التاريخ يكتبه القويّ الغالب.

وكما أنّ مصطلح «بناء»، في التعريف يشير بدوره إلى تشكيل المعرفة الغربية عن إفريقيا وتكوينها؛ فإنّه يدلّ أيضاً على استثمارها وتوجيهها في خدمة مصالح القوى الغالبة مستقبلاً، بعيداً عن حقيقة المعرفة العلمية ذاتها.

فإذا كانت المعرفة الاستفراقية التي تزعم فرنسا بناءها ما بين عامَي (١٨٧٨-١٩٣٠م) تحمل في طياتها صوراً ومعطيات من الحقائق العلمية عن تاريخ إفريقيا وشعوبها، وأنّ ذلك من الجوانب المشرفة للاستفراق، فعلينا الاستحضار أيضاً أنّها معرفة صيغت لخدمة المصالح الاستعمارية في إفريقيا مستقبلاً، كما سنراه مع مفهوم «الإسلام الأسود». وهذا يحدّ من قيمة علمية المعرفة، خاصة عندما يُبنَى معظمها عبر الانطلاق من الملاحظة بالرؤية بالعين المجرّدة فقط Voir في تفسير الظواهر الثقافية والاجتماعية مثلاً، دون اللجوء في غالب الأحوال إلى السماع Ecouter، لحاجز فهم اللغات الإفريقية، فيؤدي إلى قصور في جوانب، لا محالة.

ومن حيث مخرجات الاستفراق؛ فقد جمعت عن إفريقيا بين الغثّ والسمين، غلطاً أو تغليطاً. وها هو د. محمد عبد السلام العلاقي يقول عن بُولْ مَارْتِي: إنّ «معلوماته في هذه البلدان الإفريقية تفتقر إلى الدقّة»[٢]، ومثال ذلك؛ إصراره على القول بأن الوثنيين نقلوا عملية الختان من المسلمين[٣]، إذ نجد مثلاً ثلاث فصائل من قبائل البَاوُلِي Baoulé، وسط كوت ديفوار تطبّق الختان على الجنسين، وهي الغْبْلُو Gblo والغُولِي Goly والسَاتِكْلَانْ[٤] Satiklan، ولم يثبت تاريخيّاً- فيما نعلم- أنّها جاورت المسلمين عبر التاريخ حتى تتأثر بهم في عملية الختان.

وعلى هذا الأساس؛ بات العديد من الفلاسفة

(١) ألقى الخطاب في ٢٦ يوليوز ٢٠٠٧م، في جامعة شيخ أنتا ديوب بدكار، ونُشر في اليوتيوب في ١٩ أكتوبر ٢٠١٥م، واطلع عليه في ٢٠٢٠/١١/٠٧م، على الرابط: https://www.youtube.com/watch?v=Mn90X94__s8

(٢) دور العرب الليبيين في مقاومة الغزو الفرنسي في بلدان الحزام جنوب الصحراء بالقارة الإفريقية، بول مارتي، ترجمة محمد عبد السلام العلاقي، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية، ليبيا، ط١، ٢٠٠١، ص٦.

(٣) Paul MARTY, Etudes sur l'islam en Cфte d'Ivoire p.98.

(٤) Abe N'Doumy Noel, L'Institution sociale pubertaire et la question de l'excision en Cфte d'Ivoire, Universitй de Bouakй, Abidjan, Cфte d'Ivoire, p.253-254.

والباحثين يدعون إلى العودة للاستفراق، كالبروفيسور تيُوفيلْ أُوبينْغَا Théophile Obenga، والفيلسوف الكونغولي ف. إ. مُوديمْبِي V. Y Mudimbe الذي دعا إلى استئناف نقد كل الأعمال التي أُنتجت في عصر الاستعمار[١]. دون أن ننسى الباحث الفرنسي أَلَانْ رِيكَارْدْ Alain Ricard الذي يؤمن بهذه الفكرة، مشيراً إلى أن: «الاهتمام بتاريخ الأفكار يدعونا إلى العودة إلى الاستفراق»[٢]. ويتجاوز ذلك كلّه الباحث المصري محمد ناجي المنشاوي إلى الدعوة إلى تأسيس الاستفراق[٣].

قلت: وهذا ما نعتقده وندعو إليه، لأنّه المنهج السليم في كشف أوهام المستفرقين وتزييفهم بعض الحقائق العلمية والإسلامية والإفريقية خطأً أو عمداً، ومن ثَمّ الإسهام في تصحيح المفاهيم والأغلوطات التي أُلصقت بالإسلام والمجتمع والتاريخ في إفريقيا نصرةً للاستعمار والمسيحية الكاثوليكية، خاصةً ونحن نعيش في عصرٍ طغى فيه حنين القوى العظمى إلى إعادة احتلال إفريقيا من جديد، كما أن العودة إلى الاستفراق ستمنح العالم العربي الإسلامي فرصة التعرّف على جذور الاستفراق وأهدافه العلمية وخلفياته الفكرية.

وبعد عرضنا الموجز عن مفهوم الاستفراق، لنعرّج على المدرسة الفرنسية، وتأثيرها في «الإسلام الإيفواري».

المحور الثاني: أثر الاستفراق الفرنسي في التعامل مع «الإسلام الأسود» في كوت ديفوار:

كثيرةٌ هي مدارس الاستفراق الغربي والأوروبي، من قبيل المدارس الألمانية والبريطانية والهولندية والفرنسية مثلاً، ورغم ظهور حركتي الاستشراق والاستفراق معاً في القرن ١٨م؛ فإنّ هذه الأخيرة لم تشهد رواجاً وانتشاراً إلّا مع القرن ٢٠م. وحديثنا مركّز حول الاستفراق الفرنسي وتأثيره على التعامل مع الإسلام في كوت ديفوار.

أولاً: مدرسة الاستفراق الفرنسي وموقفها من الإسلام أثناء الاستعمار:

شهد الاستفراق الفرنسي رواجاً في القرن ٢٠م، وتحديداً عند تأسيس «جمعية المستفرقين» La société des africanistes، وهي جمعية عالمية رأت النور في باريس عام ١٩٣٠م، وحُوّلت عام ١٩٣١م إلى «مجلّة جمعية المستفرقين» Journal de la société des africanistes، ثمّ غُيِّر اسمها مرّةً أخرى عام ١٩٧٦م إلى «مجلّة المستفرقين» Journal des africanistes، وما زالت حيّة تسعى إلى اليوم[٤].

كانت هذه الجمعية عبارة عن جهود فرنسية استفراقية متواصلة، بحكم انطلاق الدرس الاستفراقي الفرنسي منذ القرن ١٩م، وكان من رواده: لُويسْ فِيدِيرْبْ Luis Faidherbe (١٨١٨-١٨٨٩م)[٥]، وِيلْيَامْ بُونْتِي William

---

(١) Alain Ricard, Nйcessaire retour de l'africanisme ? Confйrence prononcйe au Musйe d'Aquitaine, Bordeaux, le 1er avril 2015. p.1.

(٢) Idem.

(٣) الاستفراق.. دعوة إلى التأسيس، تأليف محمد ناجي المنشاوي، منشورات مؤسسة المعبر الثقافي بالقاهرة، ط١، ٢٠١٨م.

(٤) يمكن تحميل منشورات هذه المجلة التي نشرت ما بين عامي ١٩٣١-٢٠٠٧م، عبر الرابط: https://www.persee.fr/collection/jafr

(٥) جنرال، ثم إداريّ في الاستعمار الفرنسي، قضى معظم وقته في السنغال، بعد أن قضى مدة في الجزائر أيام الاستعمار.

Ponty (١٨٦٦-١٩١٥م)[١]، بُولْ مَارْتِي PAUL Marty (١٨٨٢-١٩٣٨م)[٢]، وغيرهم. وعليه؛ فتأسيس الجمعية المذكورة سلفاً كان بمثابة محاولة لتوحيد جهود المستفرقين آنذاك، ولم يكن ثمة ما يلزم لانضمام جميع المستفرقين إليها، بل ظلّت هناك جهود أخرى فردية وجماعية، تنتظم كلّها في سلك «الاستفراق الفرنسي العام».

ولمعرفة موقف هذه المدرسة الاستفراقية يكفيك العلم أنّ رئيسها ليس سوى الجنرال هَانْرِي غُورُو Henri Gouraud (١٨٦٧-١٩٤٦م)[٣]، الذي قاد الحرب الصليبية المقدّسة على رأس الكتيبة الفرنسية المصغرة التي قبضت على الإمام ساموري توري Samoury Toure، (حوالي ١٨٣٥-١٩٠٠م)، في ٢٩ سبتمبر ١٨٩٨م، في غِيلِيمُو Guélémou جنوب مدينة مان Man في كوت ديفوار[٤].

كما أنّ من بين أعضائها المؤسسين العالم المسيحي البروتستانتي مُوريسْ لِينَارْدْ Maurice Léenhardt (١٨٧٨-١٩٥٤م)، المتخصص في شعب الكاناك Les Canaques، والذي قضى فترة من الزمن لتنصير السكان الأصليين في كَالِيدُونِيَا الجديدة.

علماً أن «المنظمات الكنسية التنصيرية اهتمت اهتماماً بالغاً بالكشف عن تاريخ إفريقية ودراسته دراسة واعية تعينهم في تحقيق أهدافهم التنصيرية، وليس أدّل على ذلك من كثرة كتابات المنصّرين الأوروبيين عن تاريخ إفريقية، وبخاصة البريطانيون والفرنسيون»[٥].

ويوكّد فِيلِسِيَانْ نَافِيغِي كُولِيبَالِي Félicien Navigué Coulibaly[٦] بأنّ «الكنيسة الكاثوليكية قد لعبت دور المحتكر المطلق في الحياة السياسية والدينية في فترة استعمار كوت ديفوار»[٧].

وفيما ذكرناه إشارة واضحة في انتصار المستفرقين الفرنسين للمسيحية ضدّ الإسلام، ولم ينقطع أثر ذلك منذ الاستقلال، إلى اليوم، إذ المثير للانتباه اليوم الاهتمام الغربي منقطع النظير بالإسلام في كوت ديفوار المعاصرة.

ثانياً: الاهتمام الأوروبي والفرنسي بالإسلام في كوت ديفوار: العوامل والهواجس:

أسلفنا القول حول الاهتمام الغربيّ والفرنسي للإسلام في كوت ديفوار، وتفسّر هذا الاهتمام القناعة الراسخة التي توصّل

(١) الحاكم العام لمستعمرات غرب إفريقيا الفرنسية من عام ١٩٠٨م، حتى وفاته في دكار بالسنغال عام ١٩١٥م.

(٢) مسيحي كاثوليكي متديّن شهير، انتهت إليه رئاسة مصلحة الشؤون الإسلامية لدى الإدارة الاستعمارية، قد أسهمت كتاباته كثيراً في تشكيل الرؤية الفرنسية عن الإسلام بإفريقيا منذ بدايات القرن العشرين.

(٣) عُيِّن قبل ذلك في منصب المفوض السامي الفرنسي في سوريا ولبنان، وقضى نحو ٢٠ سنة في إفريقيا، فشارك في استعمار السودان الفرنسي (مالي الآن) والنيجر وموريتانيا وتشاد، وفي الحماية الفرنسية في المغرب... وذاعت شهرته بسبب تمكنه من القبض على الإمام ساموري توري (ت.١٩٠٠م)، في كوت ديفوار، بعدما عجز سلفه القائد الفرنسي أرشينارد ARCHINARD عن ذلك، رغم السنوات العديدة التي قاد من خلالها «الحرب المقدّسة» ضدّه.

(٤) Julie d'Andurain, Un proconsulat en trompe-l'œil. Le général Henri Gouraud en Syrie (1919-1923), Revue historique 2018/1 (n° 685), pages 99 a 122, p.101.

(٥) حركة التجارة والإسلام والتعليم الإسلامي في غربي إفريقية قبل الاستعمار وآثارها الحضارية، مهدي رزق الله أحمد، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية (٢١)، ط١، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م، ص٣.

(٦) باحث إيفواري مسيحي، متخصص بالشؤون السياسية الدينية.

(٧) Félicien Navigué Coulibaly Houphouët-Boigny : le pouvoir politique et les religions (1960-1990); SZRKG. 106(2012). p.11.

إليها المستفرقون أنفسهم، مثل الفرنسية مَاري ميرَانْ غِيُونْ Marie Miran-Guyon، والتي مؤداها أن دراسات المنظمات الدولية الجادّة كادت تجمع على كون المستقبل الاجتماعي والسياسي والاقتصادي لكوت ديفوار مرتبطاً بمصيرها الديني، في أوقات الأزمات والسلم، وفي الرؤية المستقبلية للمواطنين[١].

وهذا يعني أنّ الاهتمام بمستقبل كوت ديفوار في أيّ مجال يقود إلى الاهتمام بالفكر الديني، والحالة هذه أنّ الإسلام في كوت ديفوار قد نال حصّة الأسد في ترتيب الديانات الأكثر أتباعاً، بنسبة تقدّر ٤٢,٥٪، تليه المسيحية ٣٩,٨٪، واللادينية ١٢,٦٪، والوثنية ٢,٢٪، والديانات الأخرى ٠,٧٪[٢].

وإذا كانت قيادة الدولة الإيفوارية بسلطاتها التنفيذية والتشريعية والقضائية الثلاثة بيد المسلمين، وكان ذلك مسألة عاديّة في تصوّر السواد الأعظم من المسلمين، فإنّ الأغلبية الساحقة من غيرهم يعتبرون ذلك شيئاً سيّئاً، فيسعون لاستغلال أية فرصة مواتية لاستعادة «حكمهم»- كما يقولون، لأنّ السياسة الفرنسية تجاه الإسلام في إفريقيا أدّت إلى «زرع مفهوم المواطن من الدرجة الثانية للمسلم، فالمسلم والأجنبيّ وجهان لعملة واحدة، في مفهوم القبائل الوثنية والمسيحية بساحل العاج»[٣].

وعليه؛ فإن العقيدة العلمانية للدولة تجعل مستقبل الإسلام على المحكّ، بحيث إذا كانت رئاسة الحسن وتارا قد خلقت التوازن بين الديانتين، في تصوّرنا، بإعادة الاعتبار إلى المجتمع المسلم في هذه البلاد، فيمكن تفلّت الحكم منهم في أية لحظة، علماً أن تطبيق «العلمانية المُمَسْيَحَة»[٤] في حكم الكوادر المسيحية، طوال نصف قرن من الزمن (١٩٦٠-٢٠١٠م)، قد أدّت إلى تجذّر المسيحية في جميع مفاصل الدولة. وقد أشار شيخ الأئمة أبو بكر فوفانا (ت. ٢٠٢٠م) إلى أن «تخليص كوت ديفوار من آثار المسيحية تتطلب مسيرة نصف قرنٍ آخر من الزمن». ولذلك تبقى مسألة الأديان في هذه الدولة قضية أساسية وحسّاسة في الوقت نفسه.

وجدير بالذكر؛ أنّ الاهتمام الغربي بالإسلام عامٌّ في جنوب الصحراء، وقد بات من الصعب اليوم إحصاء جميع المستفرقين الذين ركزت دراساتهم على موضوع الإسلام في إفريقيا، نظراً لامتداد الاستفراق في التاريخ، واختلاف لغات المستفرقين، وتعدد مدارسهم، إضافةً إلى صعوبة الوصول إلى كل إنتاجاتهم العلمية.

ومن المعاصرين الإنجليزي: هاريسون كريستوفي Harrison Christopher، ودافيد روبنسون David Robinson صاحب كتاب (المجتمعات المسلمة في تاريخ إفريقيا) Muslim Societies in African History (٢٠٠٤)، وأدريان فانفيف Adrienne Vanvyve مؤلفة كتاب (الإسلام البوركينابي في

(١) Marie Miran-Guyon/ Bony Guiblehon, Religion et politique en Cфte d'Ivoire : un demi-siиcle d'intimitиs ambivalentes, Observatoire International du Religieux, n°9, Septembre 2018 CERI – GSRL. Pp 14-15.

(٢) نشر بالموقع الرسمي للحكومة الإيفوارية في ١٣ يوليو ٢٠٢٢م، واطلع عليه في ٠٧ نوفمبر ٢٠٢٢م، على الرابط أسفله:
https://www.gouv.ci/_actualite-article.php?recordID=13769&fbclid=IwAR1TBMk4TYCiUDYpW1dyAGiAoG8_peWfa_a7HRjEfZ278P22_PTjjgeefzw

(٣) ساحل العاج نحو رؤية مستقبلية للإسلام، رسالة غير منشورة للدكتور طه حسين توري، ص٥.

(٤) علمانية بصبغة مسيحية، أو حكم علمانيّ بلباس مسيحي.

ظلّ الجمهورية الرابعة) L'islam burkinabé sous la IVe République، و جِيـلْ هُولْدِرْ Gilles Holder (الإسـلام فضاء عام جديد في إفريقيا) L›islam, nouvel espace public en Afrique.

إضافةً إلى أُولِيفِيي مِينِيي Olivier Meunier صاحب (طرق الإسلام: الأنثروبولوجيا السياسية لأسلمة غرب إفريقيا بشكل عام)[1]، وكلّ من أُوتَايِيكْ رِينِي OTAYEK René و سُوَارِيسْ بِينْجَامِينْ SOARES Benjamin مؤلفَي كتاب (الإسلام والدولة والمجتمع في إفريقيا) Islam, Etat et société en Afrique، دون أن ننسى أسماء الأعلام المبثوثة في ثنايا بحثنا هذا. وهذا يفسّر تأثير المستفرقين في إفريقيا.

ثالثاً: جوانب من التأثيرات العلمية والفكرية للمستفرقين في إفريقيا:

يقوم الواقع العلمي والفكري الإفريقي المعاصر على علاقة التأثير والتأثّر بالمستفرقين سلباً أو إيجاباً؛ إذ بات الباحث المعاصر حول مختلف القضايا الإفريقية متقلّباً بين الدراسات الاستفراقية، لكون المصادر التاريخية في إفريقيا تنقسم إلى ثلاثة أنواع: وهي المصادر الغربية والأوروبية، والمصادر السودانية الإفريقية، والمصادر العربية الإسلامية.

وقد اعتَلَت المصادر الغربية والأوروبية الصدارة نظراً لكثرة المراكز الغربية المهتمة بإفريقيا، وقوة إمكاناتهم المادية، مقابل غلبة الطابع الشفاهي في العلمية الإفريقية، نضيف على ذلك سياسة حرق ومصادرة الكتب الإسلامية التي تبنتها القوى الغالبة أيام الاستعمار، مما خلق فراغاً علميّاً- إلى حدٍّ ما- في المكتبات الإفريقية العربية معاً، وأتاحت الفرصة لطغيان المصادر والمراجع الاستفراقية، ووفرتها.

هذه القضية تنطبق أساساً على الرعيل الأوّل من المستفرقين، لكنّ المعاصرين بدورهم قد فرضوا أنفسهم في الواقع العلمي والفكري في إفريقيا، لطبيعة عمل بعضهم أساتذة ومحاضرين في الجامعات والمعاهد العليا الإفريقية، وحضورهم البارز ومشاركاتهم القوية في الندوات والمؤتمرات الإقليمية والدولية في شؤون القارة، فضلاً عن الإمكانات المادّية المتاحة، وسهولة حصولهم على الوثائق التاريخية الاستعمارية في الدوائر الحكومية، مقارنةً بغيرهم من الباحثين.

ونمثّل ذلك بالفرنسي جَانْ لُوِيسْ تْرِيُودْ Jean-Louis Triaud، المتخصّص في تاريخ الإسلام المعاصر والمجتمعات المسلمة في جنوب الصحراء، والذي عمل أستاذاً في جامعة أبيدجان بكوت ديفوار، وجامعة النيجر، وغيرهما، والإسبانيّ فِرَّان إنيستا[2] Ferran Iniesta، الذي عمل أستاذاً زائراً في كل من جامعة دكار بالسنغال، وجامعة أَنْتَنَانَارِيفُو Antananarivo بمدغشقر، إلى غيرهما.

إن الأسباب المذكورة وغيرها جعلت الدراسات المعاصرة في موضوع الإسلام والمجتمعات المسلمة في إفريقيا لا تستغني عن جهود المستفرقين، وأبرز مثالٍ في ذلك: دراسات المستفرقة الفرنسية مَارِي مِيرَانْ[3]

(١) Les routes de l'islam: Anthropologie politique de l'islamisation de l'Afrique de l'Ouest en 1997 (gĭnĭral).

(٢) أستاذ تاريخ إفريقيا الزنجية بجامعة برشلونا المستقلة، ومؤسس مجلة الدراسات الإفريقية، من أعماله: إسلام إفريقيا السوداء (٢٠١٢).

(٣) مقيمة حالياً في مدينة بؤاكي Bouake بكوت ديفوار، نالت درجة الدكتوراه برسالتها بعنوان: الإسلام والتاريخ

Marie Miran في الإسلام والمجتمع الإيفواري، والتي تسير على منوال بُولْ مَارْتِي في دراسات تاريخ المجتمعات الإيفوارية المسلمة في القرني ١٩ و٢٠ الميلاديين، ومحاولة بناء مستقبلها وفق ما يخدم مصالح القوى الغربية والفرنسية.

ولم تنته القصّة هنا، بل تعدّته إلى السعي الحثيث لغرس الأطروحات الاستفراقية تجاه إفريقيا لدى الناشئين منذ التعليم الأولي الأساسي. ويحضرني هنا الموقف المحرج الذي تعرّض له الإيفواري تراوري أَدَمَا[١] Traore Adama عند اطلاعه بالصدفة على كتاب مدرسيّ فرنسيٍّ يقدح في التاريخ والإنسان الإفريقيين في مخيال تلاميذ المستوى السادس الابتدائي، في إحدى المدارس الأجنبية الخاصة في أبيدجان، في العام المدرسيّ ٢٠٠٨-٢٠٠٩م، وهو مطابق للكتاب المدرسي في التاريخ والجغرافيا للتعليم الرسمي الفرنسي لعام ٢٠٠٢م، وبإمعان النظر فيه، تفاجأ الباحث بأنّ المؤلفة هي المؤرخة الفرنسية صُوفِي لُوكَلِينِيكْ Sophie le Callennec، منسقة كتب التاريخ المدرسية الإيفوارية للصفوف السادس والخامس والرابع والثالث، الصادرة عن دار النشر (سِيدَا CEDA، بشراكة مع هَاتِيِي HATIER)[٢].

هذه الأمثلة تنبئك أن التأثيرات العلمية والفكرية للدراسات الاستفراقية أمر واقع.

كما أنّ استقراء دراسات النخبة الإفريقية العلمانية والملحدة يطلعك على مدى تأثّرهم بالمستفرقين، كتأثر التيار الحداثي الليبرالي في العالم العربي الإسلامي بالمستشرقين، إذ هم يعيدون صياغة الأطروحات الاستفراقية تجاه الإسلام في إفريقيا بطريقتهم الخاصة، مع ركوب أمواج المناهج العلمية المعاصرة مطيّةً إلى هدم الثوابت الدينية، ونزع القدسية عن نصوص الوحيين، واعتبارهما ضمن موانع التطور والنهضة الإفريقية المتوخاة، على غرار مقولات الحداثيين العرب، من أمثال محمد أركون (ت. ٢٠١٠م) ونصر أبو زيد (ت. ٢٠١٠م)، ومن سار على منوالهما.

ففي حين نجد فِيدِيرْبْ Faidherbe يقول: «إنّ الإسلام لدى السود أمر معرقل أمامنا»[٣]، نجد جَانْ شَارْلْ كُوفِي غُومِيزْ[٤] Jean Charles Coovi Gomez بدوره يقول: «إنّ الإسلام مشكلة بالنسبة لنا، لأنّه دين لا يُعايَش (...) إنّ الإسلام سرطان في جسم المجتمع، فيجب محاربته مثل محاربتنا للعنصرية تماماً»[٥].

وحين يخاطب فِيدِيرْبْ شعب السنغال المسلم عام ١٨٦٠م، بأنّهم ورثوا ديانة العرب عن آبائهم، وأنّهم ليسوا ملزمين بتتاتاً «باتباع العرب في عاداتهم وتقاليدهم، وفي قيمهم

والحداثة في كوت ديفوار Islam, histoire et modernitй en Cфte d'Ivoire (٢٠٠٦)، وهي كاتبة قديرة على قدر كبير من الإنصاف.

(١) باحث إيفواري مهتمّ بتاريخ وديانات المجتمعات الإفريقية.

(٢) https://dyabukam.com/index.php/fr/savoir/histoire/item/462-l-alienation-culturelle-des-enfants-africains

(٣) المسلمون في السنغال معالم الحضارة وآفاق المستقبل، عبد القادر سيلا، كتاب الأمّة، رقم ١٢، دولة قطر، شوّال ١٤٠٦ه، ط١، ص٨٧.

(٤) بروفيسور من بِنِينْ Bйnin مقيم في فرنسا. مدير معهد علم المصريات والحضارات الإفريقية Institut d›Egyptologie et des Civilisations Africaines IECA»، ومنسق اللجنة العلمية لكتابة التاريخ العام للسود في فرنسا، ومؤسس مركز الدراسات والبحوث والبحث العلمي الاستشرافيّ في حضارات العالم الأسود.

(٥) الأصول الفكرية للحركات الأفريقانية ومناهجها في التعامل مع النصّ القرآني: محمود سورو، ص٨٠.

وفي جهالاتهم»[١]، ويردف بُولْ مَارْتِي قائلاً: «لم يثبت قطّ أن الأسلمة تولّد التقدم الأخلاقي لدى السُّود»[٢]. ويأتي مُولِيفِي كِيتِي أَسَانْتِي[٣] Molefi Kete Asante ليقول: «لعلّ تأثير الإسلام والمسيحية الأكثر تشويهاً بالنسبة لنا، هو تبني العادات والسلوكات غير الإفريقية، والتي يتعارض بعضها بشكل مباشر مع قيمنا التقليدية. نحنُ غَنيُّون عن العرب في تطبيقهم لثقافتهم»[٤].

ويبقى السؤال عن مفهوم الإسلام الأسود، بوصفه مظهراً من مظاهر التأثير الاستفراقي في غرب إفريقيا.

رابعاً: التأثيرات العلمية الفكرية للمستفرقين من خلال «الإسلام الأسود»:

الإسلام الأسود l'islam noir مفهوم وضعه بُولْ مَارْتِي[٥]، وشاع باستعماله له، فعمل المستعمر بجدّ على تكريسه،[٦] والدعوة إليه، ليكون إسلاماً خاصاً بالإفريقيين[٧]. وعليه؛ سخّر جملة من المستفرقين جهودهم في دراسته وتطويره والدفاع عنه من خلال كتبهم التي حملت عنوان (الإسلام الأسود)، مثل أَنْدْرِي C.P.J André (١٩٢٤م)، ومَارْسِيلْ كَارْدِيرْ M. Cardaire، وفِينْسَانْ مُونْتِي V. Monteil (١٩٦٤م)، الذي أسلم لاحقاً، وأضاف «منصور» إلى اسمه. وغيرهم.

ومن حيث التعريف؛ فهو: «إسلام أسود كبشرة المتديّنين به، مع كلّ ما تعنيه عبارة أسود في المخيال الغربي من شعوذة وسحر وقصور ذهني وغلبة العاطفة على العقل»[٨].

وقد يبدو للناظر أنّ بُولْ مَارْتِي انطلق من مبدأ واضح في قوله: «إنّ الإسلام الأسود بحكم اختلاف البيئة والمحيط الاجتماعي مغاير لإسلام العرب»[٩]، لكنّ الجانب المظلم أو الغموض فيه أنّ مفهوم «الإسلام الأسود» لم يكن مجرّد وصفٍ لواقع الإسلام في إفريقيا بقدر ما هو تخطيطٌ وصناعة لما ينبغي أن يكون عليه مستقبلاً، لضمان المصالح الفرنسية، وخاصةً أن فرنسا جرّبت مرارة احتلال الشعوب المسلمة في الجزائر مثلاً.

وأول من رأيته قد تنبّه لهذه القضية، وفكّ لغزها، ونبّه عليها، هو الدكتور آدم بَمْبَا، عندما عرّف الإسلام الأسود بقوله: «ومضمونه أنّ الإسلام في إفريقيا (أو ينبغي أن يختلف) عمّا هو عليه في بلاد العرب»[١٠].

ومحلّ الشاهد هنا قوله: «ينبغي أن يختلف»،

---

(١) الاستشراق ودوره في المشروع الإمبريالي في غرب إفريقيا، آدم بمبا، مجلة قراءات إفريقية، العدد ٣٤، (ديسمبر ٢٠١٧)، ص٩٥، نقلاً عن:
Sambe, Bakary. L'Islam dans les, relations Arabo-Africaines http://www.geocities.ws/bonbeau40/islaminter.htm.

(٢) Paul Marty, Etudes sur l'islam en Cфte d'Ivoire ; pp.273-274.

(٣) أمريكي ذو أصول إفريقية، له إلى حدود عام ٢٠١٨م نحو ٧٥ مؤلّفاً حول الوعي الإفريقي والمركزية الإفريقية.

(٤) Molefi Kete Asante, Afrocentricitй, traduit de l'anglais par Ama Mazama, Afrocentricity International, Inc. Philadelphia, 2014, p.17.

(٥) الاستشراق ودوره في المشروع الإمبريالي في غرب إفريقيا، آدم بمبا، مرجع سابق، ص٩٤.

(٦) الإسلام الأسود، محمد شقرون، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٧م، ص١٠.

(٧) المسلمون في السنغال: معالم الحضارة وآفاق المستقبل، سيلا، مرجع سابق، ص١٣.

(٨) الإسلام الأسود، محمد شقرون، مرجع سابق، ص١٠.

(٩) المسلمون في السنغال: معالم الحضارة وآفاق المستقبل، سيلا، مرجع سابق، ص١٣.

(١٠) الإسلام وتشكيل الهويات الإفريقية، آدم بمبا، مجلة قراءات إفريقية، العد الحادي عشر/محرم ربيع الأول ١٤٣٣هـ، يناير/مارس ٢٠١٢م، ص٢٤.

لأنّ استفراغ الوسع على تكريس أمرٍ ما تصحبه مصلحة معتبرة عقلاً، وخاصةً أن أفعال العقلاء منزّهة عن العبث. وإلّا لو كان مجرّد وصفٍ لواقع، أو تقريرَ خيرٍ محضٍ للإسلام في إفريقيا لما انكبّت جيوش أقلامٍ فرنسا على تأصيله ونشره، ولما تبنّت فرنسا كذلك سياسة فصل مسلمي غرب إفريقيا عن إخوانهم في الدول العربية المغاربية. فعُلِم إذن أنّ في القضية (إنَّ)، وهي أنها: صناعة فرنسية لتديّنٍ إفريقي يحافظ على المصالح الاستعمارية.

ومأتى الأمر الذي نودّ قوله: أنّ الإسلام الأسود مفهومٌ فتح الباب على مصراعيه لميلاد أيدولوجيات معاصرة تجرّ تديّن المجتمع الإفريقي نحو الهاوية، فبِتْنَا نشاهد محاولات فرنسية للخروج بإفريقيا المسلمة من مرحلة «الإسلام الأسود» مفرداً، إلى مرحلة «إسلاموَاتٍ سَودَوات» جمعاً، ولا سيما بعد أحداث ١١ سبتمبر عام ٢٠٠١م، وبروز الحركات الإرهابية المتطرفة في إفريقيا، كعمل الفرنسي جَانْ دُو لَاغيريفييرْ La Guérivière, Jean de، في كتابه (الوجوه المتعددة للإسلام الأسود) Les multiples visages de l›islam noir.

ومن جهةٍ أخرى؛ فقد تولّد عن مفهوم «الإسلام الأسود» دعوات إلى تأسيس «إسلام إقليمي» يستهدف الاستقلال التامّ جنوب الصحراء، ويوقف زحف ما أسموه بـ«إسلام العرب»، الممزوج بثقافتهم والقائم على استعمال لغتهم العربية.

وعبر هذا السياق وضع المالي الدكتور دُومْبِي فَاكُولِي[1] Doumbi Fakoly مفهوم

الأوفق استخدام مصطلح «الاستفراق» بدل «الاستشراق»، مفرداً أو مضافاً، عند البحث في إفريقيا جنوب الصحراء أثناء الاستعمار عامة

«الوحي البِلَالِي»، مقابل «الوحي المحمدي»، في بناء أطروحته الملخصة في جعل الصحابي بلال بن رباح– رضي الله عنه– «الزنجي» نبيّ الإسلام الحقيقي، واعتبار «محمّد العربي» (صلى الله عليه وسلم) نبيّاً مزوّراً ومنتحلاً، مكّنته البيئة العربية من اختطاف شرف الرسالة الإسلامية من السُّود الزنوج. ويبرهن على ذلك بأنّ النبيّ محمّداً (صلى الله عليه وسلم) كان يستحيي ويحتشم كلّما التقى ببلال «الزنجي» في مكان ما، ولم يكن قادراً قطّ على النظر إليه وجهاً لوجه. وهذا مضمون رسالته الحاملة لعنوان: (بلال النبي)[2] Bilal le Prophète.

ويعضد غُومِيزْ J. C. Gomez هذه الأطروحة بقوله: «في عالم الديانات؛ فإنّ النبيّ الحقيقيّ للإسلام هو الأسود الزنجيّ بلال بن رباح الحبشي. وذلك يعني أنّ نبوّة محمد العربيّ كانت غصباً وتزويراً لنبوّة الأسود الزنجيّ بلال»[3]، علماً أنّهما ليسا مسلمين، وإنّما هدفهم النيل من الإسلام وتطهير القارة منه،

(١) بروفيسور مالي شهير، له أكثر من ٣٠ مؤلَّفاً في مختلف المجالات، ١٤ منها في المجال الديني الروحي بين الديانات السماوية والإفريقية التقليدية.

(٢) Doumbi-Fakoly, Bilal le prophиte, menaibuc, 2004.

(٣) الأصول الفكرية للحركات الأفريقانية ومناهجها في التعامل مع النص القرآني، محمود سورو، ص٦٣.

ومن «الديانات السماوية» عامة.

وعطفاً عليه؛ فقد ظهرت دعاوى سُـنيّة أداء الصلوات المفروضة باللغات الإفريقية غير العربية، وليّ أعناق النصوص في ذلك، كاعتبار المرئيات لا المسموعات[١] في حديث: (صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي)[٢]، مما نقل الخلاف في جواز الصلاة بغير العربية من الرؤية الفقهية الضيّقة إلى رؤية فكرية أفريقانية شاسعة نبعت عن التأثّر بالمستفرقين في التوسّع في مفهوم الإسلام الأسود، وتغذية الروح العنصرية ضد العرب ولغتهم في إفريقيا، كما نراه لدى حركة «انْكُو النَانْفوية»[٣]، رغم ما تستشكله الصلاة بغير العربية في ترجمة النصّ القرآني إلى اللغات الإفريقية المتشعبة. علماً أنّ الصلاة بالعربية هي السنّة القولية والعملية التي سارت عليها الركبان، وتلقفّتها الأمة بالقبول والإذعان.

خامساً: تأثير الاستفراق الفرنسي في منظومة الأسرة والتعليم الإسلامي في كوت ديفوار:

بات تأثير الاستفراق الفرنسي في التعامل مع مختلف قضايا الإسلام في كوت ديفوار واضحاً. إذ سواء اعتبرنا الدراسات الغربية عن إفريقيا ضرباً من شغف[٤] Passion، أو أداة للضغط Pression، أو هما معاً، ففي كلٍّ إمكان توظيفها في التعامل مع الإسلام لدى الساسة والمنظّرين غربيّاً وإفريقيّاً، حيث إن نتائج ومخرجات تلك البحوث عن المجتمعات الإسلامية في إفريقيا أكثر تصديقاً لدى زعماء الدول الغربية والإفريقية على حدٍّ سواء. وخاصةً أنّها بمثابة تقارير تُقدّم إلى الحكّام للتعامل مع المسلمين وفقها، ككتاب (دراسات عن الإسلام في كوت ديفوار) Etudes sur l'islam en Côte d'Ivoire الذي ألّفه بُولْ مَارْتِي، وقدّمه إلى حاكم كوت ديفوار آنذاك للعمل بمقتضاه.

هذا، وأول نموذج نتوقف عنده بهذا الصدد يرتبط بحظر الصداق وتعدد الزوجات في كوت ديفوار، فالصداق من أركان الزواج في الإسلام وفي الثقافة الإفريقية، لقوله: ﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾[٥]، لكنّ المستفرقين الفرنسيين انطلقوا من انطباع سيئ نحوه، فعدّوه ثمناً لشراء للمرأة.

وفي ذلك يقول رُوجِي فِيلامُور Roger Villamur: «الزوج يُرسِل إلى آباء الفتاة مهراً يمثّل ثمن شراءها»[٦]، ويردف قائلاً: «الزواج، حتى بين الأحرار هو شراء امرأة من طرف الرجل، أو من طرف أسرة بالأحرى»[٧]، وحسب فرنسوا جوزيف كلوزيل

(١) من تأويلاتهم للحديث، أنّه صلى الله عليه وسلم قال: «كما رأيتموني أصلّي»، ولم يقل صلى الله عليه وسلم: «كما سمعتموني»، فدلّ على جواز الصلاة بغير العربية، وأنّ الرسول صلى الله عليه وسلم صلّى بلغته الأمّ، فالسنة إذن صلاة المسلم بلغته الأم.

(٢) صحيح الأدب المفرد للإمام البخاري، ط٤، ١٤١٨ه/١٩٩٧م، ص٩٨.

(٣) نسبة إلى الغيني إسماعيل نانفو جابي Ismael Nanfo Diaby.

(٤) Jean de La Guŏriviure, Les fous d'Afrique : histoire d'une passion fransaise.

(٥) سورة النساء: الآية: ٤.

(٦) Roger VILLAMUR et Lйon RICHAUD, Notre colonie de la Cote d'Ivoire, p.372

(٧) Les coutumes indigunes de la Cфte d'Ivoire, Par Fransois-Joseph Clozel, et Roger VILLAMUR, PARIS Augustin CHALLAMEL,

(١٨٦٠-١٩١٨م) François-Joseph Clozel فإنّ «مصطلح المهر هو شراء على الأصحّ»[١]، ويقول بول مارتي: «لنلاحظ إذن أنّ الزواج لدى الوثنيين، كما لدى المسلمين، شراء حقيقيّ: إعطاء لشخصٍ المرأة مقابل دفع مهر»[٢].

فمن المحتمل كون هذه الأقوال تشويهاً متعمداً لصورة الإسلام، إذ كان لبول مارتي إلمام كبير بالإسلام، أو احتمال ذلك ناتجاً عن غياب مفهوم المهر في الثقافة الأوروبية الفرنسية، لأنّ المرأة الأوروبية هي التي كانت تجلب الصداق من والدها إلى زوجها، إلى حدود القرن ١٩م[٣]، وكان بمثابة إرثها من أبيها، إذ لا ترثه بعد ذلك، وأيضاً؛ كان بمثابة مشاركتها الوحيدة في مصروفات بيت الزوجية. وهناك فرضية أخرى لا نغيّبها، وهي ترجمة كلمتي brideweaith و brideprice، من الأنغلوساكسونيين les Anglo-Saxons، إلى الفرنسية بمعنى «ثمن المتزوّجة» Prix de la mariée مثلاً[٤]، أو خطأ ناتج عن ترجمة «الأجور» في القرآن: ﴿وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[٥].

وبصرف النظر عن الدوافع في تفسيرهم هذا لمفهوم الصداق في سياقنا الإسلامي والإفريقي؛ فقد انعكس سلباً على النظام الأسريّ في غرب إفريقيا وفي كوت ديفوار، حتى اليوم، خاصةً عندما نستحضر أنّ هؤلاء الأعلام من سلف الأمة الاستفراقية ورجالها العظام، ومن ثَمّ فالاحتجاج بآثارهم عند خلَفهم مثل احتجاج المسلمين بالنصوص القرآنية والحديثية وآثار الصحابة[٦]، فكانت أقوالهم تُنفَّذ ولا تُناقَش، ولم يكُ يجرؤ أحدٌ على خلافهم حتى.

ومن مظاهر تأثير هذه الأطروحة الاستفراقية سلباً على الأسرة المسلمة في كوت ديفوار؛ قيام مَارْتِي نفسه بحملة شعواء ضدّ تقديم الصداق في الزواج، معتبراً إيّاه رمزاً لتقييد حرّية المرأة المتزوجة، لأنها مضطرّة لإعادة الصداق إلى الزوج عند الخُلْع، وفق ما قرّره الإسلام، وإلّا ستظلّ أسيرة لديه عند عجزها عن دفعه أو قيمته[٧].

ومع ظهور مرسوم جاكينو Décret Jacquinot لـ١٤ سبتمبر ١٩٥١م؛ تمّ حظر تقديم الصداق في المستعمرات الفرنسية وفي كوت ديفوار. وبعد الاستقلال؛ قَنَّنت بعض دول المنطقة منع الصداق في الزواج، مع إنزال أشدّ العقوبات على المتلبّسين به، كالحبس مدة تتراوح بين ٦ أشهر وعامين

Editeur Rue Jacop, 17 Librairie Maritime et Coloniale- 1903, p.309.

(١) Ibid, p.84.

(٢) Paul Marty, ётudes sur l'islam en Cфte d'Ivoire, p.311.

(٣) نصّت عليه المادة ١٥٤٠ من القانون المدني الفرنسي لعام ١٨٠٤م.

(٤) Laroche-Gisserot Florence. Pratiques de la dot en France au XIXe siиcle. In: Annales. Economies, sociйtйs, civilisations. 43 annйe, N. 6, 1988. p.1433.

(٥) سورة النساء: الآية ٢٥.

(٦) التعبير وصف لواقع أقوال الأعلام الثلاثة المذكورين، لا من قبيل المبالغة، لأنّهم كانوا مستفرقين وحكّاماً في نفس الوقت. وعليه؛ فكلامهم بمثابة نصوص قانونية تنفذ، ولا تناقش. وهذا حال أغلب المستفرقين إبان الاستعمار، خلافاً لما عليه الأمر عند معظم المستشرقين.

(٧) Paul Marty, ётudes sur l'islam en Cфte d'Ivoire, p.311.

في السجن، مع دفع غرامة مالية باهظة، وهذا حال القانون الإيفواري الذي جرى به العمل خلال أكثر من نصف قرن (١٩٦٤-٢٠١٩م)[١]، ومدوّنة الأسرة في بوركينا فاسو المعمول بها منذ عام ١٩٦٥م[٢] حتى كتابة هذه الأسطر.

والقضية الأخرى ترتبط بمنع تعدد الزوجات، إذ إن منطق عدّ المهر ثمن شراء للمرأة يخلق معادلة، مفادها: أن «المرأة تُشترَى، فمن عنده ثراء، عنده نساء»[٣]، بمعنى: كلما توفّرت لدى رجل ثروة كان أقدر على الزواج بعدد غير متناهٍ من النساء. فعطفاً على كون الحركات التبشيرية التي ظلّت تحارب تعدد الزوجات في كوت ديفوار، وأدّت حربهم هذه إلى انشقاقاتٍ في صفوف الكنائس المسيحية إلى «كنائس بيضاء» وأخرى «سوداء»[٤]، أتى الدور على مرسوم جاكينو Décret Jacquinot لـ١٤ سبتمبر ١٩٥١م للمنع الكليّ لتعدد الزوجات في هذه البلاد.

وقد فُسِّر هذا المنع بهدف القضاء على الممارسات الهمجية تجاه المرأة، أو التخفيف عن كثير من الانحرافات الخُلقية وآثارها السلبية التي كانت المرأة ضحيتها، من أجل «أَنْسَنَةِ» بعض الممارسات حيال المرأة[٥]. وبعد الاستقلال تبنّى المشرّع الإيفواري هذا القانون المانع لتعدد الزوجات[٦]، كما نصّ قانون العقوبات بدوره على عقوبات قاسية في حق المتلبسين بالتعدد، تتجلى في بطلان الزواج، والسجن لمدة تتراوح بين ستة أشهر وثلاث سنوات، وبغرامة تتراوح بين ٥٠,٠٠٠ و٥٠٠,٠٠٠ فرنك سيفا[٧]. وهذا هو المعمول به في كوت ديفوار إلى يومنا هذا.

وبخصوص التعليم الإسلامي؛ فجامع القول فيه أنّ المستفرقين خطّطوا لاقتلاعه من جذوره ومحو لغته العربية من الوجود، وبالتعاون مع السلطات الاحتلالية، لأن المدارس القرآنية «لا يمكن قط، في نظر إداريي الاستعمار، إلا أن تكون مناهضة للفرنسيين»[٨]. وباعتبار «الكتابة العربية تُحيي الإسلام»[٩] لدى المستعمَرين فقد حوربت هي بدورها.

يقول بول مارتي عن سياسة حرق المكتبات الإسلامية في كوت ديفوار: «إنّ

(١) المادة ٢٠ من القانون رقم ٣٨١-٦٤ لـ٧ أكتوبر ١٩٦٤م، الملغى بموجب القانون رقم ٥٧٠ ٢٠١٩ لـ٢٦ يونيو ٢٠١٩م المتعلق بالزواج.

(٢) المادة ٢٤٤ من مدونة الأسرة والأحوال الشخصية في بوركينا فاسو.

(٣) Claude Tankwa Zesseu, Le discours proverbial chez Ahmadou Kourouma, thиse du doctorat en philosophie, Department of French University of Toronto, Canada, 2011, p.221-222.

(٤) الكنائس البيضاء: هي الكنائس الكاثوليكية التي قبلت نمط الحياة المستوردة من الغرب، كتحريم الطلاق ومنع الصداق وتعدد الزوجات، وحاربت أمثالها من العادات والتقاليد المحلية. أمّا الكنائس السوداء فخلاف الأولى، مثل الكنيسة الهارستية، «L'иglise Harriste»، وكنيسة بُوتُو أَدَايِ «L'иglise de Boto ADAI».

(٥) Isabelle Akouhaba Anani, LA DOT DANS LE CODE DES PERSONNES ET DE LA FAMILLE DES PAYS D'AFRIQUE OCCIDENTALE FRANCOPHONE, p.8.

(٦) الفقرة الأولى من المادة ٢ من قانون الزواج رقم ٣٨١-٦٤ لـ٠٧ أكتوبر ١٩٦٤م.

(٧) المادة ٣٩٠ من قانون العقوبات في كوت ديفوار.

(٨) TRIAUD Jean-Louis La question musulmane en Cфte d›Ivoire (1893-1939), p.560.

(٩) Ibid; p.562.

الكولونيل كُومّبْ Colonel Combes كان يجمع كلّ الأوراق المكتوبة بالعربية ويحرقها في المكان العام»[١]، ويعلّل ذلك بقوله: «لنقل أيضاً؛ بأنّه كان للمستعمرين عنصرية ضدّ الإسلام، وأنّه كان كل ورقة مكتوبة بالعربية بمثابة آلة حرب مرعبة وخطيرة»[٢].

ومن هذا المنطلق؛ سنرى أنّه بعد افتتاحها أوّل مدرسة لها في منطقة «إيليما» Elima في كوت ديفوار، بتاريخ ١٨٨٧/٠٨/٠٨م، سعت الإدارة الاستعمارية في نشر مدارس أخرى في ربوع الجمهورية، مع فرض التعلّم الإجباري فيها. كما حظرت التعليم الإسلامي في الكتاتيب والزوايا والمساجد، ومنعت بناء دور القرآن، تلتها مرحلة فرض رسومات باهظة كشروط تعجيزية في افتتاح المدارس القرآنية الحديثة، مع وضعها تحت رقابة الوزارة الداخلية عام ١٩٣٩م.

وغداة الاستقلال؛ استنسخت دول المنطقة نظمها التعليمية من النموذج الفرنسي بمصادقتها على معاهدة التعاون بينها وبين فرنسا في مجال التعليم والسياسة اللغوية[٣]، فأساءت التقدير في الموازنة بين التعليم الحكومي وبين المطلب الاجتماعي والثقافي، مما أدّى إلى تنامي النظام التعليمي الموازي. ومنذ تسعينيات القرن العشرين تناضل المدارس الإسلامية كوت ديفوار لاندماجها في سلك التعليم الرسمي، والاعتراف بلغتها العربية. وأترك لخيالكم فهم ما نعنيه.

الخاتمة:

بات واضحاً من خلال ما استعرضناه: أنّ الأوفق استخدام مصطلح «الاستفراق» بدل «الاستشراق»، مفرداً أو مضافاً، عند البحث في إفريقيا جنوب الصحراء أثناء الاستعمار عامة، وعن الثقافة الإسلامية خاصة.

وبما أن دارسة مختلف القضايا السياسية والاجتماعية في المنطقة تسير اليوم جنباً إلى جنبٍ مع دراسة الديانات التي يتربّع على عرشها الإسلام، فهذه فرصة سانحة يحسُن استثمارها في إصلاح كلّ ما هو غير سائغ في المجالات المذكورة وغيرها على ضوء القيم الإسلامية.

وإذا كانت مخرجات الدراسات الاستفراقية قد مارست- وتمارس- أبرز الأدوار في نسج الأيديولوجيات حول القارة السمراء، وتدبير الشؤون الدينية، وتوجيه المفهوم الإسلامي فيها كحال الاستفراق الفرنسي مع منظومتَي الأسرة والتعليم الإيفواريتين، فذلك إذن أهمّ حافز للباحثين الإفريقيين الغيورين على مستقبل دينهم وأوطانهم للانكباب أو الالتفاف حول الاستفراق، لاستخراج ما كان منه مستودعاً في رفوف المكتبات، وقتل قديمه وجديده بحثاً ودراسة، بروح نقدية وإنصاف، بعيداً عن العاطفة والإعناف ■

(١) Paul Marty, Etudes sur l'islam en Cɒte d'Ivoire .p.275

(٢) .Ibid

(٣) كما هو الحال المادة ١٣ من معاهدة التعاون بين كوت ديفوار وفرنسا لـ٢٤ أبريل ١٩٦١م، وجوب تطبيق النموذج الفرنسي في مناهج التربية الوطنية، مقابل اعتراف هذه الأخيرة بشهادات المدارس الإيفوارية.